الإجراء السّيميائي للمعنى في الرواية(قراءة في كتاب المعنى وفرضيات الإنتاج)لعبد اللطيف محفوظ

The Semiotic Procedure for Meaning in the Novel (A Reading in the Book of Meaning and Hypotheses of Production) by Abdel Latif Mahfouz

زروالة بلقاسم [1]*، بوركبة بختة [2]

[1] جامعة تسيمسيلت (الجزائر)، belgacem.zerouala@cuniv-tissemsilt.dz

مخبر الدراسات الأدبية و النقدية المعاصرة

[2] جامعة تسيمسيلت،(الجزائر)،tbourekba@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2022/09/02 تاريخ القبول: 2022/12/01 تاريخ النشر: 2022/12/24

ملخص: تسعى هذه الدراسة إلى إبراز آليات إنتاج المعنى انطلاقا من مراحل تشكل النص الروائي من خلال تجربة عبد اللطيف محفوظ في كتابه **(المعنى وفرضيات الإنتاج)**،والتي اعتمد فيها النظرية البورسية ودعمها بنظرية غريماس وفق تصور سيميائي ربط فيه الأساس الذهني لإنتاج الرواية بفكرة سابقة على المراحل الأخرى السابقة لمرحلة التجلي،وبناء على ذلك فإن آليات البحث عن ظروف إنتاج المعنى هي السؤال عن كيفية توليد سياقات الخطاب الروائي، والهدف من الدراسة هو بيان كيفية إنتاج المعنى وتلقي النص الروائي ،عبر الإجراءات التطبيقية للناقد عبد اللطيف محفوظ في مقاربته السيميائية.

كلمات مفتاحية: السّيمياء؛المعنى؛الرواية؛نقد النقد؛الإنتاج

Abstract: This study seeks to highlight the mechanisms of meaning production from the stages، of the formation of the narrative text through the experience of Abdel Latif Mahfouz in his book (The Meaning and the Hypotheses of Production), in which he adopted the Bursa theory and supported it with the Grimas theory according to a semiotic conception in which he linked the mental basis for the production of the novel with an idea that preceded the other stages of the manifestation stage.Accordingly, the mechanisms of searching for the circumstances of meaning production are the question of how to generate the contexts of the narrative discourse, and the aim of the study is to show how to produce or generate narrative discourse contexts, and the aim of the study is to show how to produce or generate meaning and receive the narrative text, through the practical procedures of the critic Abdel Latif Mahfouz in his semiotic approach.

Keywords: semiotics; meaning; novel; criticism of criticism; production.

---

* **المؤلف المرسل**

1. مقدمة:

يشكل موضوع المعنى نقطة جوهرية في الدراسات النقدية الغربية والعربية حيث يعتمد عليها النقاد في كشف ملامح المعنى في النصوص المختلفة،إن ماتهتم به التداولية وتوليه اعتبارا مهما هو"المعنى"من خلال طرح عدة تساؤلات ومن بينها :ماذا نصنع حين نتكلم؟وماذا نريد أن نقول؟وماهو مقصدنا من الكلام؟،وقد ساهم المنهج التداولي في تحليل النصوص الروائية وفق تصور شارل ساندرس بورس الذي كان مصدرا مهما للكثيرمن الاتجاهات النقدية السّيميائية الأخرى وتعتبر ذرائعية بورس سلوك نقدي يفسر النص من خلالها ويرصد آليات إنتاج المعنى ويكشف مظاهر التأويل والسياق والمقام حيث يحلل الخطاب ومقاصده المختلفة والمتنوعة،وقد سعى الناقد عبد اللطيف محفوظ من خلال كتابه"المعنى وفرضيات الإنتاج"إلى مقاربة النص الروائي منطلقا من عدة تصورات ومن بينها ذرائعية بورس وتنظيرات لوكاتش وباختين حيث تبنى عبد اللطيف محفوظ المنهج السيميائي واعتمد على اطروحات الفيلسوف الأمريكي بيرس (peirce)والمؤولات التي يعتمدها في صياغاته المناسبة وكان هدفه من هذه الدراسة هو محاولة تحليل النص الروائي وفق آلية تراعي الفوارق بين الإنتاج والتلقي وتناول فيها المراحل المحايثة لإنتاج النص الروائي –أي المراحل التي تمر بها عملية الإنتاج قبل أن تتجسد في علامات دلالية تمثل الوجود النصي للرواية،ساعيا في منهجه التحليلي السيميائي إلى كيفية إنتاج الرواية من خلال طرح نماذج تطبيقية تمثلت في روايات (نجيب محفوظ)والتي حاول من خلالها الكشف عن المعنى مبينا الآليات السّيميائية التي تمكنه من تحقيق ما يصبو إليه مستندا إلى خلفيات فلسفية كذرائعية بورس وسيميائية غريماس.

ولاشك أن طبيعة النّص الروائي العربي يختلف عن النّصوص الروائية الغربية وهذا ما يخلق صعوبات في التطبيق وإسقاط النظريات الغربية التي اعتمدها الناقد على روايات (نجيب محفوظ)والتي حاول من خلالها عبد اللطيف محفوظ طرح تصوره الفكري في كتاب "المعنى وفرضيات الإنتاج"والذي يقوم على فكرة رئيسية وهي **(كيف تنتج الرواية؟)**وهذا ما يسعى بحثنا للإجابة عنه وتحديد الإجراءات التطبيقية التي اعتمدها النّاقد في الكشف عن المعنى.

1-1المعنى وأهميته:

اهتمت المناهج النّقدية بالمعنى ومنحته الحيز الأكبر في جل دراساتها، فهو الحجر الأساس للولوج لعالم النص وسبر أغواره ،وقد ركز المنهج السّيميائي على المعنى والتفسير فهو يساعد على إدراك المعنى إذ يسلط الضّوء على الثراء اللامتناهي لتفسير العلامات المفتوحة، وإمكانية التفسيرات المتنوعة لنفس العلامة وفقا لسياقات اجتماعية وتاريخية معينة.

إنّ المحتوى والشكل عنصران يكمل أحدهما الآخر ولا تكاد تخلو أي دراسة منهما،وقد" شكلت السّيمياء التداولية بتصورها الشمولي والدينامي للعلامة إذ تعدها كيانا ثلاثيا تتفاعل داخله العناصر التركيبية والدلالية والتداولية في إطار سيرورة دائمة تسمى السّيميوزيس"[1]،وأول من أولى اهتماما بها هو شارل موريس"فقد سعى إلى إنشاء نظرية عامة للعلامات الطبيعية أو التواضعية،الإنسانية أو غير الإنسانية والتي تجعل أساس دراستها المعنى وظروف إنتاجه،فالإتجاه التداولي يركز على دراسة النص أو الخطاب من خلال سياقه ومقامه التواصلي"[2] ويهتم بالمتكلم الكاتب والمستمع القارئ وظروف إنتاج الخطاب وبالتحديد الرواية والتي تنتج عبر مراحل حيث"يتحول فيها الدليل من ممثل إلى مؤول...بمعنى أنه يتدرج عبر مراحل تبدأ من تشكله في صورة ،فكرة ...إلى لحظة تحوله النهائي إلى ممثل إظهاري"[3].

وقد اهتم النّاقد عبد اللطيف محفوظ بالنّصوص الروائية العربية وحاول تطبيق ذرائعية بيرس على روايات نجيب محفوظ في كتابه" المعنى وفرضيات الإنتاج مقاربة سيميائية في روايات نجيب محفوظ"،وحاول تطبيق إجراءاته السّيميائية من البنية السطحية إلى البنية العميقة لدى غريماس ،والانتقال إلى مفهوم بورس عبر المرور بتحولات الفكرة منذ كونها مثالية ذهنية ،إلى التشكل والتبدي وانطلاقا من ذلك فعملية فهم العلامة واشتغالها على نظام لا متناه يمثل وسيلة للتقرب من الدلالة والمعنى، لأن"هوية المعنى الواحد هي التي تسمح للعلامة بأن تدل وبشكل أعمق"[4]عن آفاق الخطاب الممتدة فالمعنى لم يعد مقتصرا على أي قارئ متمكن فهو واقعة ثقافية يُبنى ولا يُعطى وممتد إلى سيرورة لا متناهية من السّيميوزيس.

إنّ البحث عن المعنى داخل النص عملية معقدة ومركبة ومتصلة بما قبلها ولذا يصعب القبض على ظروف إنتاجه ،ولهذا نجد عبد اللطيف محفوظ يحاول البحث عن ظروف الإنتاج وكيفية توليد المعنى ضمن الأدلة المحايثة حيث يقول :"آثرنا الاكتفاء بتظهير المستويات المحايثة حتى نتمكن من التأمل الدقيق في مستويات الإنتاج وآليات بناء المعنى وأرجأنا تحليل البنية الإظهارية التي ربطناها بتشكل الدلالة إلى كتاب لاحق"[5]،فالمعنى في غالب الأحيان يختلط مع الدلالة ويصعب التمييز بينهما فالنقاد يعتبرون المعنى هو المعنى المقصود من قبل المنتج ،والدلالة هي التأويل وهناك من ذهب إلى أن المعنى هو المعنى المباشر والدلالة هي معنى المعنى

يسعى النّاقد عبد اللطيف محفوظ لتفسير المعنى من خلال دراسته للإنتاج الروائي لنجيب محفوظ فهو يعده علامة شاملة، يقوم من خلالها بدارسة عناصرها :التركيبية والتداولية والدلالية إلا أنه يفصل في عملية الإنتاج أكثر حسب ثالثانية بيرس فهو يحاول تطبيق ما جاء به بورس وموريس في البحث عن المعنى وتجلياته ضمن القراءات العلاماتية السّيميائية

المتعددة،وكيفية تظهيره وظروف وآليات إنتاجه فالبحث عنه ليس باليسير لوجود تقاطعات متعددة وجزئيات بسيطة لمعاني أخرى يصعب إثرها على القارئ تحديد المعنى المقصود هذا التعدد في تحديد المعنى يتطلب قراءة سيميوتداولية.

1-2التداول اللساني والسيميائي :

إنّ كل ما يحيط بالذات الإنسانية لا يخرج عن نطاق العلامة فهناك علاقة بين العلامة ومؤولاتها وبين الدلالات المفتوحة للعلامة أو ما يسمى السّيميوزيس، وتهيئتها للفعل والسياق الذي ينطلق من التداولية والمقصود هنا بالسيميوزيس (sémiotique) فعل التدليل أي حركة السيرورة المؤدية إلى انبثاق علامة جديدة ،وهذه الحركة لا نهاية لها وأول من أشار إلى هذا المصطلح شارل ساندرس بورس فهو يرى أنّ السّيميوزيس يتعلق بالنشاط الإنساني الفكري، وإنتاج الدلالة لا يمكن تصوره أو الحديث عنه خارج إطار المسار التدليلي فهي سيرورة تتصل بقضايا الدلالة وكيفية إنتاجها وطرق اشتغالها،وفي هذا السياق نجد الناقد "سعيد بنكراد يقول :"إن كل إنتاج للمعنى مرتبط بمادة مضمونية سابقة في الوجود على التحقق من جهة ومرتبط من جهة ثانية بسيرورة معينة للتعرف والإدراك ،إن العمليتين معا تشكلاه سيرورة التدليل وفي غياب هذه السيرورة السّيميوزيس يستحيل الحديث عن بناء نصي ولن تكون هذه السيرورة سوى الطريقة التي يتم بها تنظيم الوحدات المقتطعة من النسق الدلالي الشامل وفق استراتيجية محددة للآثار المعنوية المراد إنتاجها "[6]

فالسيميوزيس هو استمرارية حركية العلامة لدلالات مختلفة أكثر عمقا ولا يمكن للذات أن تخرج عن مدار السيرورة والأخيرة تتعلق بقضايا المعنى وكيفية إنتاجه وطرق اشتغاله "يقول بورس : (أقصد بالسيميوزيس الفعل أو التأثير الذي يستلزم تعاضد ثلاثة عناصر هذه العناصر هي العلامة وموضوعها ومؤولها ولا يمكن لهذا التأثير الثلاثي العلاقة أن يختزل بأي شكل من الأشكال إلى أفعال بين أزواج"[7].

فالنص ظاهرة إنتاجية مفتوحة على تأويلات مختلفة ومعاني غير محدودة حيث تعبر اللغة من خلاله عن تفاعل الذات مع الآخر وبينها وبين النص المقروء ،وهذا ما يخلق سيرورة لتوليد المعنى يتفاعل فيها القارئ مع النص فتعاقب القراءات يولد تشتت المعنى وإنتاجية النص فمع كل قراءة ينتج معنى مختلف عن غيره،إن سيرورة الإنتاج وهي الدلالات المفتوحة أي السيميوزيس للمعنى تظل قائمة ضمن نطاق السردية القابلة للتشخيص في بعدها الإنساني لأن المعنى يمتد ضمن سيرورة مستمرة لا يمكن كشفها إلا من خلال تشكلات لغوية وصور بلاغية تتظافر معها الأحداث والظروف الاجتماعية،"إنها توسط سردي هو الفاصل والرابط بين القيم المجردة وبين بعدها المشخص في وضعيات إنسانية بعينها"[8].

1-3إيديولوجية المعنى

إنّ التداولية تقوم على منطقة المعنى وآلية إنتاجه فالمعنى لا يصب إلا في وعاء يتم من خلاله تحديد السياق أو الأنساق الثقافية، ولا يمكن أن تنتج دلالة أو تحين إلا إذا أدرجت ضمن شبكة من العلاقات تمنحها وجها علميا وإجرائيا قابلا للإدراك فهذه العلاقات هي التي تمرر السياق باعتباره أساس في تحديد المعنى ،والإمساك به فتحديد القيم ضمن سياقات خاصة هو الوجه المحدد للإيدولوجيا"فالتجسيد الفعلي للمادة المضمونية داخل حدود زمنية فضائية تمنح القيم لونا وطعما وخصوصية إن التشخيص هنا هو إدراج القيم المجردة ضمن سياقات خاصة فالفعل الخاص يحتاج إلى سياق خاص يميزه ويستمد منه فرادته"[9].

إنّ الإيديولوجيا لا تشتغل إلى ضمن إطار مادي وملموس وفق نسيج اجتماعي مركب فهي تهتم بطبيعة الإنتاج الاجتماعي للمعنى باعتبارها أنساقا ثقافية مركبة،هدفها الوصول للمعنى داخل الشبكات الاجتماعية،لأن كل ممارسات العمل الاجتماعي خلاصتها الوصول

إلى المعنى فالأفكار التي تمثل الإيديولوجيا لا تظهر كوجود مثالي أو فكري بل تجسد كوجود مادي فكل المظاهر المنتشرة في المجتمع كحفلات الزفاف والأعياد والجنائز وطريقة الأكل فهي تدخل في إطار الإيديولوجيا المجسدة في الواقع فالأشياء المجردة تتخذ من خلال الممارسة وجودا فعليا مشخصا،وبناء على ذلك فإن الإيديولوجيا "ليست سجلا لمضامين محددة الإرادة والمواقف والتمثلات بل هي نحو لتوليد المعنى ولاستثماره في مواد دالة ولا يمكن تبعا لذلك تحديدها من خلال المضامين"[10]،فالأنساق الإيديولوجية هي التي تمكن القارئ من استنتاج دلالات في النص يكون المؤلف نفسه غير مدرك لها لكن النص يوحي بها ويدل عليها فالقارئ يسعى إلى مقاربة النص انطلاقا من مفهوم ايديولوجي ،واعتبارها جزء من إدراكاته ولهذا أي محاولة للإمساك بمعنى أو دلالة معينة يتطلب استحضار عناصر خارجية فالمعنى لا يتحقق إلا في علاقته مع ما يوجد خارجه فالسلوك الإنساني سواء كان لغويا أو اجتماعيا أو سياسيا أو فنيا أو أدبيا لا يمكن تجسده إلا وفق بعد إيديولوجي.

1-4الاتجاه التداولي والمعنى :

يهتم الاتجاه التداولي بدراسة النّص أو الخطاب من خلال سياقه ومقامه التواصلي ويعطي الاهتمام الكبير لكل من القارئ والكاتب والتفاعل الحاصل بينهما عبر جسر اللغة،وقد شكلت الرواية العربية الاهتمام الأكبر للأدباء والنقاد العرب ولعل أبرزهم الناقد عبد اللطيف محفوظ والذي حاول نقل صوره لنظرية بيرس من خلال تطبيقاته السيميائية على روايات نجيب محفوظ من خلال كتابه المعنى وفرضيات الإنتاج فقد سعى بإسهاب لبيان سيرورة الإنتاج للعمل الروائي منذ حضور الفكرة في ذهن الأديب إلى حين تشكلها التام في الذهن ومن ثم كتابتها على الورق وقد استعرض وقارب روايات نجيب محفوظ للتعرف على آلية الإنتاج ومحاولة الإمساك بالمعنى المقصود من المنتج ومعنى المعنى الذي يتحصل

عليه من عملية الإنتاج الأولية وبعد ذلك المعنى الذي يتم الحصول عليه بعد عملية القراءة ،والظروف التي هيأت لتشكل المعنى كالبيئة الاجتماعية والظروف المحيطة بالكاتب.

لقد حاول النّاقد عبد اللطيف محفوظ تطبيق اتجاه سيميائي ثقافي يستند إلى أسس التي جاء بها شارل بورس على روايات نجيب محفوظ وفلسفته الذرائعية والتي تعد نظرية لكيفية إنتاج المعنى وتلقيه، ساعيا إلى تفسير روايات نجيب محفوظ من خلال الأنساق الثقافية المحيطة بالنص سواء من الداخل أو الخارج مشيرا إلى واقع الكاتب من الظاهرالمتبدي للنص بهدف الوصول إلى كيفية إنتاج الرواية"تناول فيه المراحل المحايثة لإنتاج النص الروائي أي المراحل التي تمر بها قبل أن تتجسد في علامات دلالية تمثل الوجود النصي للرواية إذ تضم وفقا لتصور الناقد المراحل الثلاث الأولى :وهي الدليل التفكري والدليل النصي والمدار السردي"[11].

لقد ربط النّاقد بين روايات نجيب محفوظ التي سعى إلى مقاربتها سيميائيا اعتمادا على ذرائعية بورس والخارج المحيط بالنص خصوصا السياسي إلا أنه لم يغفل المستويات المحايثة وثالثانية بورس واختار مقدمة نظرية،أشار فيها إلى أطروحات الفيلسوف الأمريكي بورس الذي تقوم جلّ مفاهيمه على أبعاد المؤولات التي يعتمدها بورس في صياغته السيميائية واضعا نصب عينيه هدفه الأساسي وهو البحث عن المعنى وكيفية تجليه في إطار المقاربة السّيميائية وظروف إنتاجه وفرضياته .

إنّ الإجابات التي يصوغها الناقد انطلاقا من مراحل تشكل النص الروائي تنطلق من مراحل تلائم طبيعة إنتاجها،وقد رصد الناقد تلك المراحل وقسمها إلى أربعة وهي :

1- المدارات المحايثة :

استهل النّاقد مقاربته السّيميائية لتجربة نجيب محفوظ بمصطلح المدارات المحايثة ويعني به المستويات التي تحيط بالنص قبل إنتاجه حيث يبين الناقد ارتباطها المتين ببعضها البعض والتي تتظافر وتتفاعل فيما بينها لتشكل النص الروائي،"ولذلك لابد من افتراض بداية تشكل نقطة توافق للتعاون بين المنتج والمتلقين ويجب أن تشمل هذه البداية فالعالم من حيث هو شكل سيميائي والواقع بوصفه شكلا لإدراك العالم من قبل مجموعة اجتماعية في لحظة تاريخية ما "أي المتبدي العام ثم المتبدي الخاص بالمنتج نفسه والذي لا يكتشف إلا بوصفه موضوعا مؤشرا عليه من قبل الإظهار"[12].

ومن هنا يسعى الناقد لتحديد بداية التشكل الفكري لكل رواية من روايات نجيب محفوظ ونجده يربطه دائما بالأوضاع السياسية السائدة في المجتمع المصري آنذاك،محاولا الوصول إلى نتيجة مفادها أن تلك الروايات لا تخرج أحداثها عن ما يحدث من ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية في مصر وبالتالي يرصد التشابه بين المتبدي الفكري في الرواية وعلاقته بالمجتمع آنذاك فنجيب محفوظ "لم يسع إلى التعبير المباشر عن قضايا كونية مجردة عن الفضاء المصري كما أن اختياراته للمدارات ظلت رهينة محتوى السؤال الجوهري الذي يدرك لحظة الإنتاج بوصفه السؤال المطروح من قبل المتبدي "[13]

كما نجد الناقد يعلل عدم التعبير المباشر عن المتبدي الفكري الخاص بالمؤلف في بعض رواياته نظرا للقمع الفكري والسياسي الذي كان سائدا آنذاك في المجتمع المصري من قبل النظام ،واستكمالا لما أشار إليه الناقد" يبدأ بتعريف القارئ بأن مرحلة التبدي النهائية للمنتج يسبقها مرحلتان :الأولى مرحلة موسوعية عامة والثانية تخص تلقي المنتج ذاته للموسوعية العامة تلك وهذه المراحل تتصل بالمنتج ولا تخوض بالصلة مع المتلقي أو المستهلك التي هي صلة مفجرة للدلالات "[14]

يسعى النّاقد في دراسته لتحديد الإنتاج الروائي من خلال تطبيق سيميائية بورس التي تعتمد على ثلاثيته لإنتاج الأدلة ويقصد بذلك "أن إنتاج الأدلة مرتبط بتلقيها المشروط بنفس القانون أي المنتج قبل أن ينتج الدليل وقبل تصوره لشكل تلقي الآخر له يتلقاه ذهنيا بشكل متراكب مع تمثله لمقصديته"[15] أي أن التلقي للنص تشكل أيضا حالة إنتاج فيمثل أيضا عملية اتصال بين القارئ والراوي وعلى هذا الأساس قراءة النص الأدبي وفهمه يماثل أيضا إنتاجه.

ينتقل بعد ذلك النّاقد إلى المدار السياقي ويشير إلى التقاط المتبدي من خلال اختيار نجيب محفوظ العنوان لروايته"عبث الأقدار"يدل حقيقة على سخرية مقصودة من جانبه تحيط بها إيديولوجيته واعتقاداته الخاصة الرافضة للمتبدي راصدا الحالة النفسية للمؤلف التي يصدر من خلالها أي رواية مفسرا إياها ،أنها عدلت وعيه بالمتبدي وذلك من خلال طرحه لفكرة الروايات الثلاثة التي تلت صمته **(وهو كيف نتحرر؟)**

فقد "صدرت رواية (رادوبيس)سنة1943بعد أربع سنوات من صدور رواية"عبث الأقدار"ومعنى ذلك أنه خلد إلى الصمت خلال الحرب ولا بد أن هذه المدة القصيرة قد ساهمت في تعديله لوعيه بالمتبدي ذلك التعديل الذي سنلمسه في شكل تغيير الإجابة عن نفس السؤال للروايات الثلاثة (كيف نتحرر؟»[16])

ومن هنا يتضح أن النّاقد في دراسته للمدار السياقي يربط هذه الروايات بالظروف الخارجية للمجتمع التي أنتجت فيه تلك الروايات خصوصا الأوضاع السياسية،محاولا إسقاط التحولات الاجتماعية في المجتمع المصري وانعاكسها على روايات نجيب محفوظ وبروز المتبدي الفكري في الرواية وما أفرزه من تساؤلات عديدة انطلاقا من كتابته للرواية ووعيه المتجدد لما يحدث في مجتمعه وارتباط كل رواية بمرحلة زمنية معينة،ومن ثم تأطير كل مرحلة بسنن

إجرائي محدد"قد تكون كل المراحل مرتبطة ببعضها البعض بدليل تفكري تابع لأحداث المرحلة السياسية والاجتماعية في البلاد ولكن لكل رواية خصوصية،ولا يمكن وضعها جميعا في قوالب مؤطرة سابقا بحجة ظهورها في مرحلة زمنية محددة فماذا عن النصوص الإبداعية التي تستشرف الزمن القادم وتجيب عن أسئلة سيتوقف أمامها القارئ ويبحث عن إجابتها"[17].

لقد اعتمد عبد اللطيف محفوظ في تحليله السّيميائي للروايات على نظرية بورس والتي تخضع لنظام الثالثانية فالنص الروائي لا يخرج عن ثلاثية :العالم،الفكر،اللغة،وانطلاقا من ذلك تتشكل الدلالات والمعاني فالإنسان جزء من هذا العالم واللغة والفكر هي التي تميز وتظهر أفعاله الفكرية.

2-المدار النّصي :

ويقصد بها المرحلة التي يختار فيها الكاتب الأشكال التي يوفرها المؤول السنني الخاص بالكتابة والمقصود به الأدلة والمؤشرات التي تظهر الفكرة،أي الدليل التفكري في إطار قيود الجنس الأدبي والتي تعطي في النهاية الشكل المادي الظاهر وهو الحكاية ففي هذه المرحلة"تدمج المؤولات السننية الأجناسية والتي ستمنح النص شكله تحول الدليل إلى حكاية مقلصة حاملة في كثافتها لأبعاد وامتدادات الدليل التفكري وناتجه"[18]،وهكذا تمر العملية الإنتاجية عبر مرحلية التفكير أولا من خلال الواقع المعاش عبر فضاء تخييلي ثم تنتهي إلى تحيين بمؤولات إظهارية أي تتحول إلى نص يحمل هو أيضا سيرورة تلقي أخرى ثم قام الناقد بتحديد مفهوم السيناريو قبل تبيان علاقته بالمدار النصي بقوله :"إلا أن تعريفه هنا سيتغاضى عن رصد ظروف ظهوره وتطوره ومختلف التعريفات والتفريعات التي أسندت له بل ستتم محاولة إعادة تحديده لكي يتلاءم مع الموضوع الحالي ولتحقيق ذلك يبدو من الأفضل الانطلاق من تعريف **منسكي** الذي جعل منه حصيلة الامتدادات الممكنة المحددة اصطناعيا أو طبيعيا أو ثقافيا والمتعلقة بالأفعال والسلوكات المرتبطة بعمل ما"[19] بعد ذلك

انتقل النّاقد إلى شرح كيفية تحويل الحكاية إلى سيناريو لكونه آلية إنتاجه ،إذ قسم السيناريو إلى ثلاثة مراحل وهي السيناريو الكوني والسيناريو الثقافي والسيناريو العلمي غير أنه ركز على السيناريو الثقافي وهو المقصود بالمقاربة السيميائية،وأشار إلى سيناريو العرس الذي صوره في روايات نجيب محفوظ فهو يدخل ضمن السياق الاجتماعي والثقافي يتبدل بحسب الثقافات والمجتمعات والأزمنة مما يجعل السيناريو يتغير من رواية لأخرى.

وقد ركز النّاقد على السيناريو الثقافي فهو المقصود بالمقاربة وأثبت تغيره من رواية إلى أخرى وكان في كل مرة يربط المدار النّصي بالسيناريو "وفي حين ينتظر المتلقي قراءة إجرائية سيميائية لتجربة نجيب محفوظ ويقرأ تنظيرات تبين الفروق والمتشابهات بين كل من المدار النصي والسيناريو ومن ثم السيناريو التناصي والسيناريو السياقي وكذلك الفرق بين التناظر والمدار النصي ليخبرنا أن السيناريو انتقائي يظهر دينامية المدار ولكن كل هذا لم يؤد بمتبديات نصية أو دليل تفكري متجسد في إحدى روايات نجيب محفوظ وهو ما يشعر القارئ بالخيبة لكونه ينتظر مقاربة بورسية"[20].

وفي الأخير يذهب النّاقد إلى أنّ المنتج (الرواية)يرتبط بالأحداث المحيطة بالكاتب في المجتمع ونقطة التأمل الأولى له فكل رواية ترتبط أحداثها بمرحلة زمنية عاشها الكاتب داخل مجتمعه.

3-المدارات السردية أو دينامية التشعب :

وتمثل هذه المرحلة آخر المراحل في الإنتاج المحايث حيث تمكن من جعل النص يتحقق ماديا عبر الأدلة اللغوية ولذلك فهي تشكل أصعب المراحل "وينصرف الناقد بتنظيرات تخص عملية الإنتاج ومرحلة السردية في الإنتاج محددا أنه يمر بشكل يضع في حسبانه الجنس الفني قبل التمظهر في شكل مادي لغوي،وذلك في المؤولات السننية والأجناسية دون

إخضاع هذه التنظيرات لأمثلة تطبيقية من روايات نجيب محفوظ في حين يخضعها للتطبيق داخل تنظيره المؤولات السننية الصيغية الذي يعدو أن يكون إجراء رقيقا يطال إحدى الروايات "العائش في الحقيقة"محولا نظر القارئ نحو المتبدي الفكري الذي حكمته رؤية الروائي في نسبية محاكمة الحاكم من خلال استعارته للتاريخ الفرعوني"[21] ثم يقف الناقد عند عنوان رواية **(العائش في الحقيقة)** والذي هو مخالف لمحتوى النص الذي يقصد به العيش في الوهم، مشيرا إلى أن النص"قد أنتج بالاستناد إلى مؤول مافوق تسنيني بلاغي توضحه علاقته بالمدار النصي وهو السخرية لأن الموضوع الدينامي الناتج عن علاقة العنوان بالسياق هو**العائش في الوهم "[22].**

فالنّاقد يجنح في الطريقة التي صاغ بها الروائي نصه انطلاقا من تحليل العنوان وعن طريق دراسة المؤولات السننية الصيغية،والتي تسمح بتحديد الدلالة الحقيقية أي المعنى المتخفي والذي لا يظهرإلا باللجوء إلى مؤول مافوق تسنين بلاغي ثم ربطه بالمدار النصي ولهذا نجد المعنى يظل مجردا ضمن سيرورة مستمرة لا يُرى إلا من خلال تشخيصه في تشكيلات لغوية وصور بلاغية مع أحداث ووقائع اجتماعية"فتلك السيرورة التي يصعب تفسيرمنطلقاتها كما يصعب الدفاع عن شرعية ميتافيزيقاتها الماثلة في بعد المحايثة إلا انطلاقا من فكرة التجريد البورسية التي تقتضي سيرورة ذكاء علمي يقوم على آليات الاستنتاج المنطقي الواجب تطبيقها على النص الإظهاري الذي يشكل المعطى المادي الوحيد أو موضوع التلقي الفعلي"[23]لأن سيرورة الإنتاج ونقصد بها الدلالات المفتوحة – السيميوزيس–للمعنى،وكما يراها سعيد بن كراد على"أنها توسط سردي هو الفاصل والرابط بين القيم المجردة وبين بعدها المشخص في وضعيات إنسانية بعينها"[24] فالمعنى لا يمكن الإحاطة به لأول وهلة فهو قد يكون مؤجل أو غير ظاهر بسبب الاحتمالات والتشابه في الجزئيات البسيطة ويصعب على القارئ تحديد المعنى المقصود من الراوي ولهذا نلجأ إلى

قراءة سيميوتداولية تحدد أثر المعنى المؤجل ضمن" علاقات لا يمكن أن يكون هناك معنى وفي هذه الحال أيضا لا يمكننا أن نتحدث عن المعنى وإنما عن أثر المعنى عن حركة الدلالة لا عن الدلالة نفسها"[25].

إنّ هذه القراءة هي ما يجعل المعنى قادرا على خلق معرفة متطورة وجديدة،فهي كما يراها بورس لا توفر معرفة وحسب بل تتعداها إلى معارف أخرى،لهذا فالمعنى الذي يسند لقيم ما داخل المجتمع لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال تجسيد تلك القيم وإخراجها من تجريديتها،وتحديد السياقات الثقافية التي أنتجت فيها،فلا يمكن إنتاج دلالة ما إلا إذا أدرجت ضمن شبكة من العلاقات تجعلها قابلة للإدراك"ويسعى الناقد جاهدا لتقصي آليات تبدي المنتج الروائي داخل المدارات الفرعية والمحلية مستعيرا البرنامج السردي الغريماسي بصفته محددا أجناسيا للمنتج الروائي (ثلاثية نجيب محفوظ)حيث يستطيع هذا البرنامج تحديد بنية الأسرة المصرية في فترة المتبدي الفكري للثلاثية 1910-1948،ومن خلال رصد هذه البنية الأسرية وحواملها الفكرية والاجتماعية والدينية يحصل التعف لدى المتلقي على تلك المدارات السياقية الخاصة بتلك الفترة الزمنية فينتزع الناقد السيناريو التناصي الخاص بالزواج في ثلاثيته ومن ثم علائق الذوات في داخل هذا السيناريو وما يتبدى في مداراتها الفرعية والمحلية من سلوكات وأحداث نصية"[26].

وحين يتحدث النّاقد عن المدار الفرعي يشير إلى سمات الزوجة المثالية ويعدد صفاتها ثم يحدد عن طريق المؤول السنني شخصية أمينة ومعتقداتها الموروثة،وداخل المدارات المحلية يفصل في تحليل شخصية أمينة مفردا لذلك عنوانا خاصا أسماه (الشخصيات والعوالم الممكنة)كما حدد مكانة كل شخصية بالنسبة إلى شخصية أخرى في النص وفقا لانتمائها المكاني و"المكانة"هي ":تصور الذات لحقيقتها وقدرها وعن قدر الآخرين وعن تصور

الآخرين لها ولذلك فإنها تشكل مدخلا جيدا لتحديد مفهوم العوالم الممكنة الخاصة بالشخصيات المنتمية للأعمال السردية عامة "[27]ولهذا تلعب المكانة دورا كبيرا في تحديد آلية الإنتاج فهي تحدد شكل التواصل الخطابي بين الشخصيات لأن المخاطب يبني تصوره بناء على شخصية المخاطب في النص وبتغير المكانة تتغيرتلك التصورات فهي تفرض النظام في أغلب الوضعيات الخطابية"فإذا كانت المكانة هي التي تحدد شكل التواصل الخطابي فإن قراءة الخطاب سيميائيا ستقود المتلقي إلى القراءة اللسانية التواصلية بيد أنها تستمد مادتها التأويلية من السيميائية البورسية وذلك عندما نخضعها لثلاثية بورس التأويلية وهذا هو المختلف الذي أضافه بورس في تفسير الخطاب التواصلي"[28]ثم يشرع الناقد في الحديث بإسهاب عن العوالم الممكنة ويربطها بالمكانة ويراها أساسية في الإنتاج ،حيث تلعب المكانة دورا هاما في تحريك الحوار والذي على أساسه تتحدد مقصدية الكلام وبالتالي تحديد المعنى،"فالعوالم الممكنة للشخصيات تأتي في المرتبة الثانية بعد العالم النص الفعلي ذلك أن المنتج يتمثلها مسبقا في خطاطته الذهنية"[29]

4-مافوق التسنين البلاغي :

يشير هذا المصطلح إلى آلية الإنتاج الروائي المتعلقة بأدبية النص وجمالياته وما ينتج عنها من تصورات حول عناصر النص البارزة بالنص نفسه أي علاقة النص بالعنوان وصلته بالكلمات المفتاحية،"فعنوان رواية(اللص والكلاب)مثلا لايمكن أن يدل على معناه السياقي إلا بفضل الاستناد إلى مؤول مافوق تسنيني بلاغي :أيقونة مطورة إلى مؤشر تبرربط اللص بسعيد مهران والكلاب برؤوف علوان ومطرية ومعاونيه السابقين الذين تنكروا له بعد أن حققوا طموحهم غداة الثورة"[30].

ثم راح الناقد لإثبات علاقة الكلمات المفتاحية والعنوان بالنص وذلك من خلال تعمد الراوي استخدام ذلك العنوان لترك المجال للقارئ لاستنتاج الدلالة المقصودة من خلال المعنى

الحرفي والمعنى الجاد،"فالمعنى الحرفي هو الذي سيدل على المدارات الذهنية وتفترض وجود متلق يمكنه القيام بالتأويل فتتحول الأدلة اللغوية إلى مؤولات سننية بلاغية لا تخضع بالضرورة إلى علم الدلالة اللساني بل يمكن أن تكون أدلة موسوعية ثقافية أكثر شمولية ترتبط بعلاقات التجاور أو التماثل أو الانتماء "[31].

وبهذا تصبح القراءة الانتاجية عملية هامة لاستكشاف المعنى لأن التأويل يساهم في بلوغ مقصدية الكاتب فهو"عملية فكرية تستهدف بلوغ المعنى وبذلك يكون من اليسير علينا استنتاج حاجة المؤول إلى تمثل المعنى"[32]،ثم ينتقل الناقد إلى البرهنة على ماذهب إليه من خلال تقديم نماذج روائية توضح ما أشار إليه حول مافوق التسنين البلاغي من القوة المؤشرية المتحققة داخل الفقرة والجملة المفردة عن طريق القوة الأيقونية مثل كلمة (التمزق)التي اختارها من رواية الشحاذ وربطها بلفظة الموت "كل شيء يتمزق ويموت"(الشحاذ ص9)"[33]،كما أن الجملة التي جاء بها الناقد في رواية الشحاذ تصبح ذات قوة مؤشرية في قوله : " ولكنك عملاق بكل معنى الكلمة،كنت طويلا جدا وبالامتلاء صرت عملاقا"37،وهكذا يرصد الناقد تلك المؤشرات التوجيهية ليبين أن الراوي لم يختار تلك المفردات أو الجمل عبثا بل هي مقصودة من الراوي للمتلقي أو القارئ من أجل إنتاج متوالد للمركب وبالتالي تفتح دلالات وتأويلات مفتوحة تمكن من الولوج إلى المعنى واستكشافه.

وأما القوة الأيقونية فقد مثل لها الناقد بلفظة (العش)حيث ينزاح اللفظ داخل هذا السياق عن دلالته المعجمية التي وضع لها والتي هي دلالة على البيت لكن هذه المفردة تأخذ معنى آخر في سياق الرواية ،لأن العش له دلالات أخرى مثل الفقر والبساطة وهذا يحول المفردة إلى قوة أيقونية دالة"فالعش مثلا بفضل تعدد نوعيات أساسه وترابطاتها لا يمكن لأي استعمال له أن يحيله إلى مؤشر بسيط"34.

ثم ينتقل الناقد إلى الأيقونة النصية ويقصد بها الدليل الذي يختاره الراوي أو المنتج على مستوى الإنتاج ما قبل الإظهارلكي يحدد موضوعه ويساعد ذلك على إنتاج أشياء عامة تربط المدارات بدليل مجرد وهذا يجعل الدليل يتجاوز الإمكانية النصية الموجهة من قبل مدار النص "ولا تتحقق هذه الخاصية بالطبع إلا إذا كان هذا الدليل منتجا بشكل محايد لوعي ذات تخييلية وكانت مؤولات أدلته الإظهارية حَملية وموضوعاتها أيقونية"35.

وفي الأخير نخلص إلى مايلي:

حاول الناقد عبد اللطيف محفوظ من خلال كتابه المعنى وفرضيات الإنتاج كشف المعنى من خلال مقاربته السّيميوتداولية لروايات نجيب محفوظ ،استنادا لتصوره لأفكار بيرس وخلفياته الفكرية انطلاقا من تحولات الفكرة من كونها مثالية ذهنية إلى التشكل والتبدي وهو ما تحدث عنه محفوظ في هذا الكتاب من خلال البحث في آلية الإنتاج الإبداعية للكاتب نجيب محفوظ واكتشاف طرقها وذلك بتحديد رواياته وتأطيرها داخل محددات زمنية تاريخية،فقد قام هذا الكتاب على "سيميائيات بورس الذريعية"التي تعتبر نظرية للإنتاج والتلقي مشيرا للأنساق الثقافية المحيطة بالنص سواء من الداخل أو الخارج راصدا الوعي المصري المتبدي للواقع الذي عاشه نجيب محفوظ ،واعتمد الناقد في إجرائه النقدي الذرائعي على تبني أفكار باختين في كون الرواية جنسا منفتحا على كل الأجناس والفنون كما يوظف الناقد نظرة لوكاتش الفلسفية في كيفية إنتاج الرواية .

لقد ركز النّاقد في تطبيقاته السّيميائية في كشف المعنى لنصوص نجيب محفوظ الروائية على السيميائية والتداولية فهو تركيب منهجي ينقل القارئ من عالم الحقيقة إلى حضورٍ نحو عالم تخييلي،فالناقد يعتبر الإنتاج الروائي لنجيب محفوظ علامة شاملة تمتزج فيها العناصر التركيبية والدلالية والتداولية حيث عمل على وصف مجمل آليات التظهير المركب من خلال توظيف نظرية المؤولات البورسية ،كما سعى الناقد إلى تظهير المستويات المحايثة من خلال

حديثه عن ثالثانية بيرس وقام بتطبيقها على روايات نجيب محفوظ ليتوصل إلى نتائج لكيفية إنتاج المعنى ومراحله.

واستند النّاقد في مادته النقدية التي اعتمدت المنهج التداولي للنص الذي يولي أهمية كبيرة للسياق الثقافي المحيط به وقد شكلت ثالثانيات بيرس الأرضية الأبرز للإجراء النقدي وتتبع سيرورة الإنتاج للعمل الروائي، منذ الوهلة الأولى للفكرة في ذهن الكاتب إلى حين تبلورها وتشكلها ومن ثم تحيينها على الورق وصدورها محاولا تتبع عملية الإنتاج للمعنى بشكل عام

قائمة المصادر والمراجع:

1 عبد الواحد المرابط،السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصور شامل،بيروت،الدار العربية للعلوم الطبعةالأولى2010م،ص79 .

[2]المرجع نفسه ص52.

[3] عبد اللطيف محفوظ،آليات إنتاج النص الروائي نحو تصور سيميائي،الجزائر،منشورات الاختلاف، ط2008،1م،ص26.

[4]صابر الحباشة،تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة،الأردن،دار الحامد للنشر، ط2011،1م،ص37.

[5] عبد اللطيف محفوظ،المعنى وفرضيات الإنتاج مقاربة سيميائية في روايات نجيب محفوظ، الجزائر،منشورات الاختلاف ط2008،1م،ص37.

[6] سعيد بنكراد،السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، الدار البيضاء المغرب،منشورات الزمن مطبعة النجاح الجديدة، ط2003.1م،ص145.

[7]charles sanders peirce ecrit sur le signeparis op ،1987،cit،page133

[8]سعيد بنكراد،سيميائيات النص مراتب المعنى،الرباط،المغرب،دارالأمان،ط2018،1م،ص95

[9]سعيد بنكراد ،السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها،ص157.

[10] سعيد بنكراد،عن التسنين السردي والتسنين الإيديولوجي،مجلة علامات،الرباط،المغرب العدد2،السنة1994م،ص27.

[11] محمد فليح الجبوري،الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث،الجزائر،منشورات الاختلاف،ط1، 2013م،ص204.

[12]المرجع نفسه ص42.

[13]المرجع نفسه ص47.

[14] آراء عابد الجرماني، ،اتجاهات النقد السيميائي للرواية، الجزائر،منشورات الاختلاف، ط2، 2012م ، ص234.

[15] عبد اللطيف محفوظ ،المعنى وفرضيات الانتاج ،ص20.

[16] عبد اللطيف محفوظ ،المعنى وفرضيات الإنتاج، ص54.

[17]آراء عابد الجرماني،اتجاهات النقد السيميائي للرواية،،ص383.

[18]عبد اللطيف محفوظ، المعنى وفرضيات الإنتاج، ،ص70.

[19]المرجع نفسه ص72.

[20] آراء عابد الجرماني ،اتجاهات النقد السيميائي للرواية،ص242.

[21] آراء عابد الجرماني ،اتجاهات النقد السيميائي للرواية،ص246.

[22] عبد اللطيف محفوظ ،المعنى وفرضيات الإنتاج، ص114.

[23] عبد اللطيف محفوظ ، المعنى وفرضيات الإنتاج،ص168.

[24] سعيد بنكراد ،سيميائيات النص مراتب المعنى، الرباط،المغرب،منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف،دار الامان،ط1 2018م ،ص95.

[25] مقبل بن علي الدعدي ،صناعة قراءة النص الإبداعي،السعودية ،تكوين للدراسات والأبحاث،ط1،2016م،ص155.

[26]آراء عابد الجرماني،اتجاهات النقد السيميائي للرواية،ص247-248.

[27]عبد اللطيف محفوظ ، المعنى وفرضيات الإنتاج ،ص133-132.

[28]آراء عابد الجرماني ،اتجاهات النقد السيميائي، للرواية،ص249.

[29] عبد اللطيف محفوظ ،المعنى وفرضيات الإنتاج، ص143.

[30] عبد اللطيف محفوظ ،لمعنى وفرضيات الإنتاج،ص155.

[31] آراء عابد الجرماني ،اتجاهات النقد السيميائي للرواية،ص251.

[32] صابر الحباشة ،تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة،ص43.

[33] عبد اللطيف محفوظ ،المعنى وفرضيات الإنتاج، ص162.

34-المرجع نفسه، ص165

35-المرجع نفسه، ص171